الغساسنة

كان الغساسنة من قبائل الازد التي هاجرت من اليمن اثر انهدام سد مأرب وانهم سموا بالغساسنة نسبة الى عين ماء تدعى غسان اقاموا حولها فكل من شرب من هذا الماء سمي غسانياً

لم تتفق المصادر في تحديد مكان ماء غسان فقد قال البعض انه بسد مارب باليمن وقيل انه ماء بالمشلل قريب من الجحفه وهي قرية على الطريق بين مكة والمدينة وقد اشير الى ان من جملة قبائل الازد التي نزلت عند ماء غسان الانصار اي الاوس والخزرج وخزاعة وجفنة ويبدو ان ملوك الغساسنة كانوا من ال جفنة لذا اطلق عليهم المؤرخون اسم ال جفنة وقد قيل انهم كانوا عبارة عن تحالف قبلي تجمعوا حول الماء فتحالفوا على الإقامة بموضعهم بالشام وهم من بطون شتى

بمعنى ان الغساسنة ليسوا ابناء اب واحد او قبيلة واحدة وانما هم تحالف قبلي نشأت نواته الاولى قرب ماء غسان ثم استقر ابنائه في الشام حيث نجحوا في اقامة دولة لهم تحت حكم ملوك من ال جفنة

كان سكنهم بالشام اول نزولهم تحت سلطان قبيلة الضجاعمة من بني سُليح وقد ادوا الخراج لهم لكن بعد ان طال مقامهم في بلاد الشام ووجدوا في انفسهم القوة في مقاتلة سُليح رفضوا اداء الخراج لهم وقاتلوهم وانتصروا عليهم عند ذلك وجد الروم ان من مصلحتهم التحالف مع الغساسنة خشية التحالف مع الفرس فبذلك حل الغساسنة محل بني سُليح في حكم المنطقة بالتحالف مع الروم لحاجة الروم للغساسنة في تأمين حدودهم ضد غارات القبائل البدوية وضمان الامن في المناطق التي يتألف غالبية سكانها من العرب لذلك عقدت بينهم معاهدات الدفاع المشترك وكان الغساسنة بحاجة الى الروم في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم فقد بقوا في حيادهم في الحرب ما بين الروم والفرس لما معناه استقلالية القرار السياسي لحكام الغساسنة قبل ان تتطور الحالة بينهم الى ان يظهروا بمظهر العمال لدى الروم

اما عن تاريخ نشأة الغساسنة فلا وجود لمعلومات واضحة عن تاريخ نشأتهم واغلب الظن انها نشأت في اواخر القرن الخامس للميلاد وان اول من تولى الملك فيها هو جبلة ابن الحارث وان الزعامه كانت في بادئ الامر تحت النظام القبلي اي ان كبير القوم يسمى شيخاً

أبرز ملوك الغساسنة

تولى الملك بعد جبلة عدة ملوك من ابنائه واحفاده على قاعده الوراثة منهم

١- الحارث بن جبلة (528- 569 م)

يعد اعظم ملوك الغساسنة يعتقد انه تولى الملك في سنة 529 م او قبلها بقليل منحه القيصر الروماني لقب ملك لوقوفه بوجه المنذر ملك الحيرة لقد اثبت الحارث بن جبلة كفاية عالية في ميدان القتال منذ توليه الملك فتمكن من الانتصار على المنذر ملك الحيرة سنة 528 م كما كانت له علاقات مع الروم ضمن المساعدة في ضبط الحدود مع الفرس والمناذرة وكذلك سيادة الامن الداخلي على ارض فلسطين لاسيما في ثورة يهود السامرة ضد الروم البيزنطيين بتحريض من الفرس عام 529 م فقد قام الحارث بالمساهمة في اخماد هذا التمرد الى جانب البيزنطيين لقد تطورت العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية حتى بدت صورة الغساسنة وكأنما عمال او موظفون تابعون لقياصرة الروم في نظر كثير من المؤرخين على الرغم من وجود كيان خاص للغساسنة ومصالحهم المتميزة التي كان على قياصرة الروم احترامها والتعامل معها بعناية والا ساءت العلاقات بين الطرفين وقطع حبل التعاون والتحالف بينهما

شارك الحارث بن جبلة في حروب الروم ضد الفرس وعلى اثر الصراع بين الامبراطوريتين الكبيرة نشأ صراعاً اخر بين الغساسنة والمناذرة ودخل الاثنان في معركة في شهر حزيران من العام 554 م عرفت بيوم حليمة احرز الغساسنة فيه انتصاراً حاسماً قتل فيها المنذر ابن ماء السماء ملك الحيرة الا ان الحارث الغساني قد خسر احد ابناءه فيها ان هذا الانتصار الذي حققه الحارث بن جبلة ادى الى تدعيم العلاقات بينه وبين الروم حملت قياسره الروم على التعامل معه باحترام كبير ومنحه القابا رفيعة مثل لقب " فيلارك "اي رئيس القبيلة "وبطريق "وهو لقب سام ومنصب مرموق جداً

تذكر المصادر التاريخية ان الحارث سافر الى القسطنطينية من اجل مفاوضة القيصر فيمن يخلفه من اولاده في حكم سوريا وما ينبغي من اتخاذ اجراءات لمقاومة هجمات عمرو بن المنذر ملك الحيرة على بلاده وفي العام 569 م او اوائل سنة 570 م توفي الحارث بن جبلة بعد ان حكم اكثر من 40 سنة

٢- المنذر بن الحارث (569 - 582م)

لقد حاول ان يسير على نفس الاسس التي قامت عليها سياسة والده الداخلية والخارجية فاستمر في صراعه مع المناذرة وقاتلهم وانتصر عليهم وكان ذلك في العام 570 م لاسيما في معركة عين اباغ

وقد ذكرت المصادر ان المنذر ارسل الى الامبراطور البيزنطي يوسطين الثاني ليرسل اليه الذهب ليدفع منه ارزاق جنده فغضب الامبراطور غضباً شديداً لاعتقاده ان العرب نالوا كفايتهم مما غنموه ثم شرع في تهديد المنذر وخطط ليقتله بالخديعة سراً فلما علم المنذر بالمؤامرة التي حيكت ضده انزعج كثيراً لهذا الجحود فعد قواته للمقاومة وامرهم بالاحتراز والتسلح ثم قاد جيشه وتوجه الى جوف الصحراء وبهذا حرر نفسه من اية مسؤولية ازاء املاك الروم

اما الفرس الذين استغلوا تخلي الغساسنة عن مسؤولياتهم في حماية الحدود في بلاد الشام فقد قاموا بغارات على هذه البلاد وتوغلوا في اعماقها حتى وصلوا مشارف انطاكيا واخذوا اعداداً كبيرة من الاسرى وغنموا غنائم كبيرة وضربوا عدداً كبيراً من القرى ورجعوا الى بلادهم عند ذلك شعر البيزنطيون بفداحة الخطأ الذي ارتكبوه في تعاملهم مع المنذر ملك الغساسنة فسعوا لمصالحته وتواترت المكاتبات والسفراء من القسطنطينية الى المنذر لكنه لم يسمح لاحد منهم بدخول معسكره ومضى على هذا ثلاثة اعوام ثم رغب بعد ذلك بمصالحتهم ثم قام بشن هجوماً على الحيرة اقام فيها خمسة ايام جمع من خلالها غنائم كثيرة واسترجع ما استولى عليه اللخميون في هجومهم على بلاد الشام وبهذا اصبح جديراً بلقب الملك الامجد لذلك وجد البيزنطيون ان من مصلحتهم توثيق علاقاتهم مع المنذر ملك الغساسنة لذلك وجهت اليه دعوة لزيارة القسطنطينية في العام 580 م وعند وصوله اليها استقبل بحفاوة بالغة وتكريم خاص

وبعد عودته طلب منه الروم محاربة الفرس وكان ذلك في العام 580 م فوافق على ذلك ، وفي تطور الاحداث اللاحقة ادت الى سوء العلاقة مع الروم من جديد ادت الى الاحتيال على المنذر والقاء القبض عليه وارساله الى القسطنطينية حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية هناك

٣- النعمان بن المنذر (582-583 م)

كان النعمان اكبر ابناء المنذر بن الحارث الغساني وقد تميز بذكائه الحاد ومقدرته القتالية العالية لذا فانه حينما علم بنبأ القاء القبض على ابيه تولى مع اخوته الاربعة محاربة الروم البيزنطيين

فقد قاموا بمهاجمة معسكر "ماجن" الذي اعتقل فيه والده فنهبه وتركه فارغاً وكذلك النواحي القريبة منه وجمعوا كميات كبيرة من الغنائم والاشياء القيمة ولكنهم لم يقتلوا او يسبوا احداً من الناس ثم اوغلوا بعد ذلك في جوف الصحراء حيث ضربوا لأنفسهم وعسكراً كبيراً اقاموا عليه الحرس والارصاد ثم قاموا بمحاصرة مدينة بصرى وطالبوا بأن ترد لهم اسلحة ابيهم ومتاعه الشخصي وقد تقدمت القوات البيزنطية لمقاومة جيش الغساسنة ولكنها فشلت في ذلك واضطرت الى الاستجابة لمطالب اولاد المنذر وقد حاول الروم تنصيب احد اخوة المنذر المتعاونين معهم ملكاً على الغساسنة لكنهم فشلوا في ذلك ثم حاولوا بعد ذلك الوصول الى تفاهم مع النعمان بن المنذر على سبيل الخديعة فعرضوا عليه ان يطلق سراح ابيه اذا شارك العرب في الحرب ضد الفرس فرفض النعمان ذلك ووضح له ان جميع العرب كانوا على مذهب اليعاقبة اعداء الامبراطور البيزنطي

وعند عودة النعمان من لقائه مع القيصر تمكن الروم من القاء القبض عليه وارسل الى القسطنطينية حيث تم حجزه هناك واخذ يعامل بصفة اسيراً حراً وعندما وصلت هذه الاخبار الى بلاد العرب انقسموا الى 15 فرقة كل واحدة منها تحت قيادة رئيسها الخاص

يستنتج مما تقدم انه في العام 583 م او في العام 584 م بعد ان اخذ النعمان اسيراً الى عاصمة الروم سقطت دولة الغساسنة العرب في سوريا وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة اميراً لها وبذلك انهارت سلطة الغساسنة وزالت دولتهم وفقدت الإمبراطورية البيزنطية القوة التي كانت تهيمن على القبائل البدوية وتفرض الامن والنظام في البوادي ومناطق الحدود فأخذت القبائل تسطو بلا خوف ولا وجل على اموال الفلاحين المتحضرين مما حمل الروم على التفكير في وجوب اقامة عامل اكبر جديد مكان المنذر وقد حاولوا اختيار احد اولاد ال جفنة لكنهم لم يفلحوا في ذلك وبقي رؤساء المنطقة مجرد شيوخ عشائر قاموا بدور محدود في ادارة شؤون قومهم لهذا يعد العام 585 م عام سقوط دولة الغساسنة